

الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري صورتها و نمطها و بناؤها " الأغنية الثورية نموذجا "

إعداد الأستاذة : سديرة سهام

أستاذة محاضرة صنف – أ -

المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار – قسنطينة -

البريد الإلكتروني : sihem.sedira@yahoo.fr

تاريخ الإرسال : 2020/03/26

الهاتف : 07.95.54.38.54

تاريخ النشر : 2020/12/29

المخلص :

إذا تأملنا التراث الشعبي الجزائري ، فإننا نجد ذخيرة وفيرة و متنوعة من أشكال التعبير الشعبي، تناقلتها الجماعات الشعبية ، و توارثتها الأجيال جيلا عن جيل . و تعد الأغنية الشعبية واحدة من بين هذه النصوص الشعبية التي فرضت نفسها على الساحة الشعبية إذ تعد مرآة تعكس عليها صورة نابضة عن حياة الشعوب وآمالها و آلامها و أخلاقها و عاداتها و مثلها .

لكن الأمر اللافت للانتباه أن الأغنية الشعبية الجزائرية لا تزال مشتتة هنا و هناك - بل توشك أن تندثر و تتلاشى ، لأنها لم تخضع بعد إلى عملية منهجية واضحة في جمعها و تدوينها . لكن بالرغم من ذلك فقد كتبت لها الظروف السياسية و الثقافية للجزائر من الانتشار و الرواج بين مختلف فئات المجتمع بلهجات متباينة بتباين المتغيرات اللسانية و المنتشرة في ربوع الجزائر من شرقها إلى غربها و من شمالها إلى جنوبها .

الكلمات المفتاحية

الأغنية الشعبية ، الصورة ، النمط ، البناء ، الأغنية الثورية .

Le résumé :

Si nous regardons le folklore algérien, nous trouvons des munitions abondantes et une variété d'expressions populaires, transmises par des groupes populaires, transmises de génération en génération. La chanson populaire est l'un de ces textes populaires qui s'est imposé sur la scène populaire comme un miroir reflétant la vie des peuples et leurs espoirs et leurs souffrances, leur moralité et leurs coutumes et ainsi de suite.

Mais il est remarquable que la chanson folklorique algérienne soit toujours dispersée ici et là et soit sur le point de disparaître et de

s'effacer, car elle n'a pas encore été soumise à un processus systématique clairement défini dans la collecte et la codification. Cependant, les conditions politiques et culturelles de l'Algérie ont été rédigées au sujet de la propagation et de la propagation parmi les divers groupes de la société dans différents dialectes, les différentes variables linguistiques se propageant dans tout l'Algérie, d'est en ouest et du nord au sud.

توطئة:

اخترت الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري ، لأقف على أهم العادات و المعتقدات المتجذرة في مجتمع الشرق الجزائري و التي تتجلى في هذا الشكل الأدبي و أبيض صورة هذا الأخير و نمطه و بنيته ، و هل يمكن لنص الأغنية الشعبية – كنص أدبي- اقترح المجال الأدبي في العصر الحديث أن يستجيب لقراءات المناهج النسقية عموما ؟ كما خصصت فضاء تحدثت فيه عن الإطار التصوري لدراسة الأغنية الشعبية : مفهومها و تطورها و أنواعها و خصائصها .

الأغنية الشعبية الماهية و الشكل :

الأغنية الشعبية هي شكل أدبي تؤديه النسوة و حتى الرجال على حد سواء ، وقد أفردت لها جهود خاصة باعتبارها تجمع بين الكلمة و اللحن و الأداء و الرقص بالإضافة إلى الآلات الموسيقية التقليدية خاصة . و قد برزت المرأة في مجال الأغنية الشعبية الجزائرية أكثر من الرجل ، فإذا تأملنا التراث الشعبي الجزائري ، فإننا نجد ذخيرة وفيرة من الشعر النسوي انتجته أعلام نسائية و تغنت به أصوات جمعت بين الإحساس المرهف و الكلام الناعم و المعاني الجميلة الطريفة التي عكست الحياة الاجتماعية و السياسية و الثقافية للشعب الجزائري . و لازالت هذه الأشعار و الأغاني قائمة في العديد من البيوت الجزائرية و في المناسبات المختلفة (مناسبات الختان و الزواج) و المناسبات الدينية و غيرها من المناسبات لحد اليوم و تبقى الذاكرة الشعبية تحفظها و تردها و تتفاخر بها رغم انقضاء مناسباتها الأصلية كالأغنية الثورية مثلا .

و قد نالت الأغنية الشعبية حظا وافرا من الدراسات و لهذا يصعب أن نلم بمفهوم جامع و مانع لها ، ولهذا سنكتفي ببعض المفاهيم الغربية و العربية كل مفهوم على حده .

يعد الباحث " ألكسندر هجرتي كراب " من الباحثين الذين كرسوا جهودهم لدراسة الأغنية الشعبية و قد عرفها بأنها : " قصيدة شعرية ملحنة ، مجهولة المؤلف ، كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية و ما تزال حية في الاستعمال " ¹

كما يعتبر " بوليكا فسكي " الأغنية الشعبية أنها من إنتاج الشعب ألفها للتعبير عن آلامه و معاناته يقول : " الأغنية الشعبية هي التي أنشأها الشعب و ليست هي الأغنية التي تعيش في جو شعبي " . و هكذا يكون الباحثان قد ركزا على شعبية هذا الابداع الشعبي و مجهولية مؤلفه و بهذا يكونا قد أكدّا صفة الشعبية لهذه الأخيرة التي تناشد الوجدان الجماعي للأمة ، و تجتذب الشعب كله . فالأغنية الشعبية هي إبداع شعبي باعتبارها تناولت الموضوعات القومية التي تهتم جميع أفراد الشعب ، و بطريقة أسطورية لأنها تعتمد على الحركة و الإشارة و الإيقاع ، فالجو الدرامي و الأسطوري هو ما يميز الأغنية الشعبية و هو نفسه الجو الذي يشمل بقية الفنون الشعبية الأخرى . وقد أكد " أحمد صالح رشدي هذا الأمر عندما قال " إنّ العمل الأدبي مجهول المؤلف لا لأنّ دور الفرد في إنشائه معدوم و لا لأنّ العامة اصطّلحوا على أن ينكروا على الخالق الفرد حقه في أن ينسب إلى نفسه ما يبدع بل لأن العمل الأدبي الشعبي يستوفي أثرا فنيا يتوافق مع الجماعة و جريا على عرفهم من حيث موضوعه و شكله ، وولأنّه لا يتخذ شكله النهائي قبل أن يصل إلى جمهوره شأن الأدب المدوّن و أدب الفصحى ، بل يتم الشكل الأخير من خلال الاستعمال و التداول " ² و هكذا تعتبر الأغنية الشعبية إبداع شعبي جماعي لاستحواذها على مقومات الأدب الشعبي كالتداول و المشافهة ما جعلها عرضة للتغيير و التبديل و الزيادة و النقصان .

أما الباحث " ريتشارد فايس " فقد فنّد الرأي الذي قال به " بوليكا فسكي " و رأى بأنّ الأغنية الشعبية : " ليست بالضرورة هي الأغنية التي خلقها الشعب ، و لكنها الأغنية التي يعينها الشعب " ³ فالأغاني الشعبية التي تناقلها أفراد الشعب . الشعب هو الذي عدّلها و كيفها حسب رغبته بعد استحواذه عليها و أصبحت ملكه الخاص على اعتبار أنّ الأغنية الشعبية كإبداع شعبي تتغير بطبيعتها و لا تستقر على نحو ما لأنها شفوية و بالتالي فهي عرضة للزيادة و النقصان .

أما الباحثين العرب فقد وضعوا عدة تعاريف للأغنية الشعبية من بينها:

/ ألكسندر هجرتي كراب ، علم الفولكلور ، ترجمة : أحمد رشدي صالح ، وزارة الثقافة المصرية ، مؤسسة التأليف و النشر ، دار الكاتب القاهرة ، 1967 ص 235 .¹

/ أحمد صالح رشدي ، الأدب الشعبي ط03 دار المعارف للنشر و التوزيع مصر ، ص 21 / 16 .²

3 / R/Weis ; HABITS AND DEVELOPMENT . SONATA . SONT . NEW

YORK / 1977 P . 125

" هي قصيدة ملحنة مجهولة بمعنى أنها نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية ، و بقيت متداولة أزمانا طويلة " ⁴

و يضيف " أحمد مرسى " قائلا : " الأغنية الشعبية هي الأغنية المرددة التي تستوعبها حافظه جماعة تتناقل آدابها شفاها ، و تصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي " ⁵.

أما إبراهيم فاضل فقد ألمّ إلى حدّ ما بمفهوم الأغنية الشعبية ، حيث ركّز على خصائص عديدة تميزها كالعفوية والطابع المؤثر الذي تحكمه كلماتها وبساطة أسلوبها ، و بدائية آلاتها الموسيقية ، و تعبيرها المباشر عن لحظات الوجدان والانفعال و التأثير التي تجعل نصوصها يغلب عليها الحزن و المزاج الفردي ⁶

و عموما يمكننا أن نلامس و نقرب من مفهوم الأغنية الشعبية فنقول : هي موضوع هام من مواضيع التراث الشعبي الأدبي و مصدر أساسي من مصادره و هي معيار حقيقي للتعرف على ذوق الفرد الشعبي و الوجدان الجمعي للأمة ، وقد أدّت وظائف جمة ، حيث تعد وسيلة من وسائل التعرف على المستوى الفكري للمجتمع من خلال تركيباتها اللغوية و الأدبية و تألفها اللّحني ، و تداخل إيقاعاتها الصوتية و الموسيقية . كما عبرت عن عادات وتقاليد المجتمع و ذلك لما تحتويه من مقولات فلسفية و روحية و أخلاقية . إذ أدّت في كل طور من أطوار المجتمع وظائف كثيرة و أشبعت حاجات ملحة . و قد جمع و لخص "العربي دحو " في كتابه " مفاهيم و نماذج في الأغنية الشعبية " وظائف الأغنية الشعبية فقال: " ما الأغاني إلا أخلاق ، و لغة و عوائد ، و تشخيص وانتخاب ، و تمثيل أحسن الصور أو أقبحها في حركاتها و أحوالها الجزئية و الكلية ، و من هذه الوجهة هي معيار الأذواق و برهان الحضارة ، أو البداوة ، و دليل التصورات و الخواطر النفسانية . أمّا من وجهة تأثيرها على النفس ، فهي مفرجة الكروب ، و مسلية الخواطر ، و مجلية الأحزان ، و منشطة العزائم ، و غذاء الأرواح ، و مرآة الصور الجميلة و مدعاة الانتلاف و التحابب " ⁷ و هي فوق كل ذلك ترتبط بالفرد و المجتمع ارتباطا ماديا و عقليا و روحيا ، و هي إنتاج و إبداع تلقائي صادر عن فكر و وجدان مشترك بين أبناء المجتمع ، حيث يمارسها هذا الأخير في إطار عاداته و معتقداته و مناسباته الاحتفالية المتنوعة . و من أمثلة هذه الأغاني : أغاني دورة الحياة (الميلاد و مراحل كالعقيقة و الختان ... الخ و الزواج و مراحل ، الموت) و

/ فوزي العنتيل ، الأغنية الشعبية ، مجلة النوحة ، العدد 14 ، 2003 ص : 40 . ⁴

/ أحمد مرسى ، الأغنية الشعبية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة ، 1968 ، ص 25 . ⁵
/ ينظر : عبد الأمير جعفر ، الفن الغنائي في الخليج العربي ، وزارة الثقافة و الإعلام و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1980 ، ص 29 . ⁶

/ العربي دحو ، مفاهيم و نماذج في الأغنية الشعبية عن الثورة التحريرية " الأوراس نموذجاً " ، الناشر المتصدر للترقية الثقافية و العلمية و الإعلامية ، الجزائر ط1 ، 2013 ، ص : 8/7 . ⁷

من ذلك أغاني السمر والمناسبات كالأعياد و أغاني العمل مثل أغاني الصيد و الحصاد ، استدرار الأمطار و الأغاني الثورية ، الأغاني الدينية و غيرها خصائص الأغنية الشعبية و أنواعها :

انطلاقاً من مفهوم الأغنية الشعبية ، يمكننا أن نجتمع و نلخص و نلّم في نفس الوقت بخصائص ومميزات الأغنية الشعبية ، معتمدين على آراء بعض الدارسين و المتخصصين و هو الباحث الألماني " ألكسندر هجرتي كراب"⁸ ، هذا الأخير الذي جمع خصائص الأغنية الشعبية فيما يلي :

• هي إبداع جماعي ، و لذا فهي عرضة للتبديل و التغيير و الإضافة و الحذف ، بسبب مشافهتها .

• غنائية ، تنتنول موضوعاتها بطريقة جديدة حيوية و ألوانها كثيرة تشبه ألوان الصناعة الشعبية الريفية.

• كثير من الأغاني الشعبية هي ميلودرامية مأساوية ، حزينة و انفعالية ، فهي ليست بالضرورة مستقاة من مواضيع مفرحة أو مسلية .

هي انفعالية للغاية ، غير أن انفعاليتها بسيطة غير معقدة كما أنّ أسلوبها بسيط جدا هو الآخر فهو في أغلب الأحيان أسلوب المربعات .

إلى جانب خصائص أخرى من بينها : مجهولية المؤلف ، لكن لا يمكننا تعميم هذه الخاصية ، لأن الكثير من النصوص عرف صاحبها ، كقصيدة (حيزية) فهي الشاعر " محمد الصغير بن قيطون" و أداها الكثير من المطربين الجزائريين ك " عبد الحميد عيابة ، و رابح درياسة و خليف أحمد ... لتصبح منتشرة في الأوساط الشعبية و يرددوها الناس في كل مكان و زمان . كذلك : الانتشار و التداول بين العامة من الناس و في كل المناسبات ، أيضا من خصائصها التعديل بالزيادة و النقصان : وهو عنصر لا بد منه أثناء التناقل الشفهي ، طبعا دون المساس بجوهر و أصل النص الغنائي .

و يجب أن نضع بعين الاعتبار تنوع نص الأغنية الشعبية من حيث الكلمات من منطقة إلى أخرى و هذا راجع إلى تنوع اللهجات ، لكن الجانب الموسيقي من لحن و نغم يبقى ثابتا لا يتغير .

أمّا إذا جننا إلى أنواع الأغنية الشعبية ، فقد انقسمت هذه الأخيرة إلى عدة أصناف من بينها :

1. أغاني المناسبات الاجتماعية

2. أغاني العمل

/ ألكسندر هجرتي كراب ، علم الفولكلور تر : رشدي صالح ، وزارة الثقافة المصرية ، دار الكتاب ، القاهرة ، 1967، ص 133.

3. الموال

و قد اختلف الباحثون في تقسم الأغاني الشعبية ، فبعض الباحثين قسمها إلى : أغاني المناسبات و أغاني البحارة ، و أغاني الفلاحين و أغاني الثورة التحريرية و الأغاني الحضرية ذات الطابع الأندلسي⁹ كما قسمها باحث آخر إلى ثلاثة أصناف و هي : أغاني الحياة و الأغاني الدينية ، و أغاني القيم المثالية¹⁰ . و مهما اختلفت الأنواع ، و حسب المراجع التاريخية ، فإن لكل أمة نوعا خاصا تؤديه في مناسباتها المختلفة ، فقد عرفت العوالم العربية أنواعا مختلفة وطبوعا مختلفة من الأغاني الشعبية كالأهازيج و الأغنية الحرة ، و النشيد و الموال و القصيدة الغنائية و الموشحات و الأزجال و المغناة ... و غيرها .

الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري مضمونها و بنيتها :

لعبت الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري دورا فعالا في تصوير واقع المجتمع بكل تجلياته العفائية و السياسية و الاجتماعية و الدينية ، فهي مرآة تعكس عادات هذا المجتمع و تقاليده و كل قيمه الانسانية بكل صدق .

إنّ الأغنية الشعبية من أكثر الفنون القولية تداولاً في منطقة الشرق الجزائري ، حيث حافظ أفراد هذا المجتمع على هذا الموروث و انتقل هذا الأخير إلى ألسنة العامة من الناس و مختلف الطبقات الاجتماعية الفقيرة و البرجوازية ، و انتشر على نطاق واسع في شكل طبوع متنوعة كالخوفي و الصراوي و الموال و العيطة و الأهازيج و الفقرات و الحوزي و الشعبي ... و غيرها من الطبوع المعروفة في الساحة الجزائرية ، و التي أدها و لحنها كبار الفنانين و المغنين الجزائريين عن طريق الكلمة و اللحن و الموسيقى .

انتشرت الأغنية الشعبية في منطقة الشرق الجزائري بمدنها و قرأها و مداسرها ، و تجذرت في قلوب الجماهير الشعبية ، و تميّزت بطابعها الفلكلوري المتميز أين يحضر الأداء و اللحن و اللباس التقليدي الأصيل و الراقصة والبراح و الآلات الموسيقية المتنوعة كالبندير و الطبل و النقران و الدف و الدربوكة و الطار و القرقابو و الدندون ... و غيرها من الآلات النفخية و الناي و الغايطة و المزود ... الخ . أما الموسيقى فهي الأخرى تحاكي الموسيقى اللاندلسية إن لم نقل مأخوذة عنها ، خاصة تلك الأغاني الشعبية كإيقاع بورجيلة و البروالي و الروميا ... و غيرها

/ محمد عيلان ، محاضرات في الأدب الشعبي ، منشورات جامعة عنابة ، 1991 ، ص 04.⁹

/ هـ . ز . أولكن مصادر شعبية للثقافة المعاصرة ، تر حسين الدافوقي ، مجلة التراث الشعبي ، وزارة الثقافة و الإعلام ، العراق ، العدد الفصلي الأول 1986 ، ص 184.¹⁰

و تعتبر الأغنية المؤداة في الشرق الجزائري من أكثر الألوان استماعا في الجزائر لاعتمادها على توظيف الكلمات النظيفة و اللغة السهلة المفهومة التي تستوعبها معظم الفئات الشعبية . أما في العهد الاستعماري ، فقد ازدهرت الأغنية الشعبية ازدهارا كبيرا خاصة منها الأغنية الشاوية و القبائلية ، والسطايفية ، فعند أهل الشاوية انتشر الغناء الجماعي كالرحابة و الغناء الفردي في منطقة سطيف و الذي يعرف بالصرابي. و من رواد الأغنية الشاوية عيسى الجرْموني ، مسينيسا ، عميروش ... و آخرون أما رواد الأغنية السطايفية فنذكر على سبيل المثال : سمير السطايفي بكاك شي الخير ، نور الدين بن تومي ... و غيرهم ، وكانت أغانيهم ذات مضمون وطني سياسي استوعبت النضال التحريري و الكفاح المسلح ، حيث صوّر هؤلاء الشعراء الشعبيون أحداث الثورة و سجّلوا البطولات ، و كان الشاعر الشعبي " شاعر نضال ، و رفيق سلاح ، و حامل رسالة يستمد شعره من عاطفة دينية قوية ، و يحمل بين جوانحه ضميرا قوميا شفافا " ¹¹ ، سجل انتصارات الجزائريين و تضحياتهم و تاريخ الثورات ، و بعث النخوة و الكرامة في نفوس المواطنين ، و تغنى بهذه الأشعار في قصائد طويلة و تلقاها الرواة و الحفظة فيما بعد ، فأصبح أدائها يتم في مناسبات احتفالية مختلفة .

و قد تميزت الأغنية الثورية بخصائص مكنتها من الامتداد و الانتشار ، فهي تقوم على أسس فنية و معايير خاصة، أصبحت فيما بعد جزءا من تقاليدنا الموروثة و المتفق عليها بين المؤدين و المحترفين ، فالشاعر " لم يكن أديبا " صناعيا " يتقن في اختيار القوالب الجميلة لكي يؤثر في عواطف الناس ، و إنما كان يقول الشعر بطريقة تلقائية و عفوية ، يعيش محنة الاحتلال بكل آلامها و جراحها و يصوّر إحساس مواطنيه ، فيذكرهم بأحداث الماضي ليدفعهم إلى الجهاد و التضحية من أجل تحقيق الحياة الكريمة . و الشاعر الشعبي لا يهدف من وراء الشعر إلى كسب الشهرة أو الجاه ، و إنما يهدف من وراء شعره إلى تصوير مأساة غزو استعماري استهدف دينه وثقافته " ¹² .

كما تميز النص الثوري بالواقعية النابعة من صدق عاطفة الشاعر ، هذا الأخير الذي كان يقرض الشعر في لحظات الشدائد و المحن لا في لحظات الفراغ و التأمل الخيالي و قد وصلتنا الكثير من النصوص عن طريق الرواية الشفوية التي تفجرت فيها عواطف الشعراء الشعبين ، لتدل على مدى تأثرهم بالأوضاع السيئة التي اضطهد و قهر فيها الشعب الجزائري ، و دخلت هذه النصوص كل البيوت الجزائرية و تغنت بها النساء خاصة جاعات و فرادى . فهاهي إحدى الأمهات تشتكي هم الجوع و البؤس و الذي يقابله الغلاء الفاحش تقول :

/ التلي بن الشيخ ، دور الشعر الشعبي في الثورة التحريرية ، 1830،1845، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983، ص 98.¹¹

/ المرجع نفسه ، ص 99.¹²

ربي الطف بهذا الحال هنا الغلى علينا طــــال
الغاني فنى له المال والقــــلــــيل كــــيــــته كــــســــية
صابتني لمرا بالعار قالت لي : بركاك من قعاد الدار
اشري لحوايج للصغار يتلهـــــاو بها شـــــويا
و يصور شاعر آخر أوضاعهم المزرية خاصة بعد كل ثورة أو انتفاضة ، و رد فعل العدو
الغاشم :

جانا مرسل القايد ببرية قال جات من عند الفســــياس
كي اقرارها ابقات الأمة تتوحد تتلطف و تقول استر يا رحمان
قالوا جات اليوم قوانين جدد حكم شرع جديد ما راته لعــــيان
اللي يحب يعيش لفرانسا يسجد و اللي يقول علاش ينفوه الكيان
و غيرها من النماذج الشعرية الكثيرة التي تحفظها الجماعات الشعبية و تتغنى بها .
و توجد نصوص أخرى تميزت بمضامينها الرافضة للذل و تحمل في طياتها نبرة حزينة ،
يقول " محمد الصالح لوصيف " في بداية قصيدته التي عنونها ب : " أول نوفمبر " : في
أغنية صب الرشاش :

خاوتي ماهمش اهنا خاوتي اداتهم الغلابــــة
ما تبكوشي يا لحليميات امر بن موسى في الحياة
يرفد زوج غلامــــات يقضي زوج حوايــــج اكبار
و تحكي كذلك الكثير من النصوص مضامين تتناول واقع المرأة الأوراسية في قلب المعركة¹³
و التي وسمت بطابع الحسرة و اللوعة و الحزن :
جميلة بنتي هيا اغسلي لي قشي راني ماشي
عرب الجبال عاهدوني عرب السيلان بابا حني
و أيضا :

يا دليلة يا لي جات من بوزينة الجزاير راهي لنا يا ديغول روح اخطينا
دليلة بنتي اعطيني البندير انقصر لحقتني لجيب مليانة عــــســــكر
لاحوني في السجن يا ربي و استر
و في مضمون آخر يبين عن التشوق و الحنين
الشمس منين طلعت صح للعربية واش ولــــدت
سبع سنين عقت هي في النيران حتى استقلت
و أيضا
آه يا طفلة يا بركاهم القومية واش دواهم

/ العربي دحو ، مفاهيم و نماذج في الأغنية الشعبية ص : 125¹³

دواهم المــــــــــــــــوس و الواد احــــــــــــــــذاهم

مضمون آخر يعكس روح التحدي و اللامبالاة :

آه طفله عريــــــــــــــــة ما تقوليش راح عليـة

اطلبي ربي صباح و عشية تعود الدولة عريــــــــة

مضمون آخر يحمل دلالات الصبر و التجمل :

ما تبكيش يا لعجوز ما تبكيش ..ولـدك شهيد

تبكي اميمة القومي اللي سينا ..وولـى رومي

نص للتعزية:

يمه حنه واشري لي علاقة نطلع لروس الجبال و نعاون الفلاقة .

الحزن في لحظة الاستشهاد و السلوان :

اسمحيلي يا لميمة اسمحي لي في جهادي

السماح السماح لبابا وليدي من عند العالي

هذا و قد سجلت الكثير من النصوص النضالات و البطولات التي حققها

الجزائريون في المقاومات الشعبية ، كمقاومة الأمير عبد القادر ، و الزعاطشة و بعض

المظاهرات السلمية . كما عبروا عن آمالهم في تحقيق النصر مستقبلا ، يقول أحد الشعراء

في مظاهرات 11 ديسمبر معبرا عن تفاؤله بالنصر الذي سيأتي بعد الثورة :

إحدى عشر ديسمبر الصادي من الصبح إكندر

في انهار أمغير تراعي أتشوق الطنق أمغور

المجاهد يصبر و الطيارة تكشف و اتصور

و الرومي اخبر ما صابش كيفاه ايدبر

أشواق العسكر في لاصاص آدم امغر

ما احلى هاذ المنظر كان اليوم الحرب مطور

لازمني نشعر و الشعر هلل و كبر

العلم اخضر منور أمنا بالوكن تحرر

و البوسط يهدر والصحافة أدور و اتصور

بالثورة نفرح ذا التاريخ لازم يتكرر

هكذا كان النص الشعري الشعبي المغنى منه خاصة بمثابة الوثيقة الرسمية ، التي

سجلت و صوّرت أدق تفاصيل الثورة ، كجرائم الاستعمار و كيف تصدّى الشعب الجزائري

لهذا المحتل الغاشم طيلة سنوات طويلة ، تلك الفترة المريرة التي عانى فيها الشعب من

ويلات الاستعمار ، و ذاق مرارة الألم من قتل و تعذيب و سجن و اعتقال و قمع و تشريد .

كان هذا الغناء حاضرا بالكلمة و الصوت ، و اللحن حيث تغنى الجزائريون نساء و رجالا

وشباننا بالبطولات و الانتصارات مشجعين و محمسين وممجدين ، يقول الشاعر " أحمد قاجة " في قصيدة بعنوان " زغرودة نوفمبر " يمجّد يوم اندلاع الثورة

زغردي يا أمّاه في عيد الثورة زيدي يا أختاه و لــــول لثتين
نوفمبر تاريخ رمز المفخرة يــــقــــراوه أجيال و المؤرخين
بالله أكبر أوّل شــــرارة انطلق صوت الحق فالربيع و خمسين
الساعة صفر بدات البشرى من قمم الأوراس علنوا المخلصين¹⁴

كما كانت الأغنية القبائلية حاضرة ، حيث غنت المرأة القبائلية مسترخة بأغاني شعبية ثورية بروح قومية ووطنية معا ، فيها هي إحدى النساء تصف المعركة التي أدها البطل المجاهد " عميروش " مع أتباعه ، و تعدد صفات هذا البطل الشهم و قد تحدثت عن فئة الخونة الذين يتعاملون مع أعوان الإدارة الفرنسية ووصفتهم بالخنازير ، و بأبشع الصفات ، و تحدث كذلك عن استشهاد أغلب أتباع " سي عميروش " جرّاء الغدر و الخيانة ، تقول الراوية في هذا المطلع من الأغنية :

سي عميروش فصّحراء سي عميروش في الصحراء
تتبعي أتيزنــــزــــن بيع من طرف المــــرأة
سبع و سبعين ذا جندي سبعة و سبعين جــــنــــدي
و ايدان يغــــلــــي سقط كل من وقــــف
في سبيل لــــحــــرياً في سبيل الحــــرية
إطرّد أعمــــر أيوسف أعمــــر أيوسف نــــزل
أشبهها بيــــف شبيهه الخــــنزير
إعط فيفا فرنســــا صارخا تحيا فرنســــا¹⁵

كما تكمل الأغنية موضوع الغدر و الخيانة في هذه القصة ، فتتحدث عن وجوب أخذ الثأر من الخائن و دفعه الثمن غالبا :

أمنعاش دكنخكام يا ويلتك من قبضتنا
دكنقند دشلطا سنقطك كالسلطة

هكذا إذن تميزت الأغنية الثورية بالوصف الواقعي الدقيق ، النابع من صدق الأحداث ، فاسحة المجال للتعبير عن آلام الشعب و آماله و مأساه من ذلك الواقع المرير، وقد كانت المرأة خاصة بارزة في أداء الأغنية بانتقائها لأرق الألفاظ و الكلمات الملحنة بالموسيقى لعلها تخفف بها من تلك المعاناة ، لتسهم في إقامة صرح هذا الفن الشعبي الخالد .

/ عبد الحميد بورايو ، النزعة التاريخية و الوثائقية و الحس الملحمي في الشعر الشعبي الجزائري في منطقة الجنوب ، محاضرات الندوة الفكرية السادسة ، الملتقى الوطني الموروث الشعبي الوادي ، 2006 ، ص 87.¹⁴

/ بوحراث ذهبية ، 88 سنة ، 2013/12/12.¹⁵

بناء الأغنية الشعبية :

يمكننا أن نقول في مجال تحليل الأغنية الشعبية إنها تسمح " بقراءات استيعابية أو تفسيرية توثيقية أو تأويلية ، بل نقول : كي تمكن المتلقي من فتح هذه المستويات كلها " ¹⁶ ، كما أنها تستجيب في الوقت ذاته إلى قراءات المناهج النسقية هذه الأخيرة التي تهتم بالأبعاد الداخلية للنص و سير أغواره ، بوصفه بنية فنية مغلقة و مكتفية بذاتها ، كما تولي عناية خاصة بسياق النص و الولوج بالتالي إلى تأويلاته و دلالاته . و تعد البنيوية من أكثر المناهج النقدية انتشارا في الوطن العربي، ومن أشهر النقاد العرب الذين تبناوا هذا المنهج يمني العيد ، صلاح فضل ، زكرياء إبراهيم ، حسين الواد ، عبد المالك مرتاض ... و غيرهم و قد أوحى لنا النصوص السابقة – نماذج من الأغنية الشعبية الثورية – من ناحية بنيتها ، أشكالا مختلفة بل وطبوعا متباينة منها الغنائية وهي التي تتكون " في الغالب مما أسميناها الرباعيات ، حيث تتكون من أربعة أشطار ، أي من بيتين ... و الرباعيات إنتاج جماعي مشترك ، ساهمت المرأة في القول فيها و الشيخ و الفتى و كل الأفراد لذلك لا نعرف قائلها إلا إماما و تظل منتقلة وسط الجماهير في مناطق مختلفة " ¹⁷ . و النوع الآخر و هي التي تأتي على شاكلة القصيدة و يسمى بالقصيد .

وقد غلبت على نصوص الأغنية الشعبية الثورية ظاهرة الرباعيات " فقد استطاعت الأغاني الرباعية المتنوعة القافية أن تعبر عن مشاعر الناس و تمكن الشعراء الشعبيون أنذاك من خرق القواعد الشعرية بهدف إدخال بعض الكلمات المعنية و الموجهة إلى الفرنسيين " ¹⁸ و تتميز لغة الرباعيات باستخدامها للكلمات ذات الأصل العربي في مجملها ، لكنها لاتحافظ على خاصية الكلمة العربية الفصيحة ليس على مستوى القواعد النحوية فحسب ، بل على مستوى النطق بالحروف المكونة للكلمة أيضا ، و بذلك فهي لا تراعي القواعد النحوية و الصرفية واللغوية عند النطق بها ، و عند كتابتها ، إضافة إلى وجود مفردات أو عبارات قد لا نجدها في العربية الرسمية و الكلمات الأجنبية التي دخلت إليها نتيجة الاحتلال الفرنسي ¹⁹

يقول أحد الشعراء :

فرنسا و اليـــــــهود خرجوا طريق الحدود

/ العربي دحو ، مفاهيم و نماذج في الأغنية الشعبية ، ص 16,09

/ المرجع نفسه ، ص 17,49

/ فلاديمير سكورو بوغاتوف ، الشعر الملحون و الحروب الاستعمارية ، المجاهد الأسبوعي ، العدد 680،

الجزائر ، ص 1973، ص 18,38

/ ينظر : العربي دحو ، الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس ص : 194.

19 195

بلادنا بلاد الجنود جبناه بالبارود²⁰

و يقول نفس الشاعر واصفا حالة المجاهدين المناضلين في الجبال :

طالعين لجبال هما ازفو هازين لبشاطل راهم ارفو

طالعين لجبال هما اشفو لميمة الله ينصركم²¹

ومرة يحفز الشاعر الجنود و هم يقاومون ظلم و طغيان جيش الاحتلال :

الطيارة بالسينيال تضرب حبة بالميزان

و الموت هي بالجبال تموا العهد يا رجال²²

كما حدثنا الشاعر عن طريقة تعذيب الثوار :

سركلوا علينا بالسيلان و العسة ساليقان

سالولي على هاذوك الشبان يا لميمة هذاك لي كان²³

يظهر أنّ هذه الرباعيات احتوت على كلمات بالدارجة العامية ليس لها أصل في اللغة العربية ، لكنها لم تراعى الميزان الصرفي و لا القواعد النحوية ، الكلمات الفصحى مثل : طريق ، الحدود ، بلاد ، البرهان ، تشعل ، الأحرار ، جيران .

و كلمات عامية ك : البارود ، البشاطل ومعناها بندق الصيد ، أزفو : بمعنى : اسرعوا ، اشفوا : أي يستحقون العطف و الحنان ، لميمة : الأم ، العسة : أي الحراسة، سركلوا ، السيلان ... الكلمات الدخيلة ك : السينيال : و يقصد الضوء ، لانجيري كلمة فرنسية و تعني الجزائر ، ساليقان : أي من السنغال ، الدوبلكي : و هي إحدى الفرق العسكرية المقاتلة .

أما عن لغة الرباعيات رغم تنوع الكلمات المستخدمة فيها من ألفاظ دارجة ، و دخيلة ، و عربية فصيحة ، إلا أنها لا تخضع لقواعد الصرف و النحو ، و تتميز بالسهولة و الليونة ، تفهمها كل الشرائح الاجتماعية ، نظرا لبساطتها ، و تبقى هذه الرباعيات غنائية بالدرجة الأولى ، خاصة و أنها لا تعتمد على الأدوات الموسيقية واللحن كالمزمار و الناي و البندير ... و غيرها و هذا ما يميزها عن باقي القصائد الأخرى . و استطاعت الرباعيات أن تتغلغل في نفوس الشعراء الجزائريين من جهة و الجمهور المتلقي من جهة أخرى ، و نالت الحضور الكبيرة وفضلت على سائر أصناف الشعر الشعبي لما تحمله من خصائص شكلية و مضمونية ، خاصة تلك التي ألفت أثناء الثورة التحريرية المجيدة .

وفي الختام يمكن أن نقول إنّ هذا النص الشعبي المتمثل في الأغنية الشعبية هو نص مرّن غير مستقر على حال واحد ، يتلون و يتلاءم مع المتغير الجديد ، و في الوقت

/ العربي دحو ، ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية بالعربية و الأمازيغية الشاوية ، منشورات بونة للبحوث ، 2012 ، ص 221.

/ المرجع نفسه ، ص 236.

/ المرجع نفسه ، ص 246.

/ المرجع السابق ، ص 223.

نفسه يعتمد على عناصر ثابتة في بنائه ، و إذا تأملنا التراث الشعبي الجزائري ، فإننا نجد ذخيرة وفيرة من الأغاني الشعبية أنتجت أعلام نسائية في الغالب ، فتغنت به أصوات جمعت بين الإحساس المرهف و الكلام الناعم ، و المعاني الجميلة الطريفة ، عكست الحياة الاجتماعية والسياسية و الثقافية للشعب الجزائري ، و لازالت هذه الأشعار و الأغاني قائمة في العديد من المناسبات المختلفة لحد اليوم .

قائمة المصادر و المراجع :

- 01- أحمد صالح رشدي ، الأدب الشعبي ط3 دار المعارف للنشر و التوزيع ، مصر .
- 02- فوزي العنتيل ، الأغنية الشعبية ، مجلة الدوحة ، العدد 14 ، 2003 .
- 03- أحمد مرسي ، الأغنية الشعبية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة 1968.
- 04 - عبد الأمير جعفر ، الفن الغنائي في الخليج العربي ، وزارة الثقافة و الإعلام و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1980.
- 05 - العربي دحو ، مفاهيم و نماذج في الأغنية الشعبية عن الثورة التحريرية " الأوراس نموذجاً" ، الناشر المتصدر للتربية الثقافية و العلمية و الإعلامية ، الجزائر ط1 ، 2013 .
- 06 - محمد عيلان ، محاضرات في الأدب الشعبي ، منشورات جامعة عنابة ، 1991
- 07- العربي دحو ، الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989 ، دط ، دت .
- 08 - العربي دحو ، ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية بالعربية و الأمازيغية الشاوية ، منشورات بونة للبحوث و الدراسات ، الجزائر ، 2012 .

المراجع المترجمة :

- 09 - ألكسندر هجرتي كراب ، علم الفولكلور ، ترجمة : أحمد رشدي ، وزارة الثقافة المصرية ، مؤسسة التأليف و النشر ، دار الكاتب القاهرة ، 1967

المراجع الأجنبية :

- 10- R/Weis ; HABITS AND DEVELOPMENT . SONATA .
SONT . NEW YORK / 1977

المجلات :

- 11 - هـ . ز . أولكن مصادر شعبية للثقافة المعاصرة ، تر حسين الدافوقي ، مجلة التراث الشعبي ، وزارة الثقافة و الإعلام ، العراق ، العدد الفصلي الأول 1986
- 12- فوزي العنتيل ، الأغنية الشعبية ، مجلة الدوحة ، العدد 14 ، 2003 .
- 13 - فلاديمير سكورو بوغاتوف ، الشعر الملحون و الحروب الاستعمارية ، المجاهد الأسبوعي ، العدد 680 ، الجزائر ، 1973.

14 - عبد الحميد بورايو ، النزعة التاريخية و التوثيقية و الحس الملحمي في الشعر الشعبي الجزائري في منطقة الجنوب ، محاضرات الندوة الفكرية السادسة ، الملتقى الوطني الموروث الشعبي الوادي ، 2006.